« جمال الطبيعة »

الشروق

كانت النافذة مفتوحة ، والنسيم العليل يلج منها الي زوايا الغرفة متباطئا ، كأنما كان لارتياده المكان عنوة ، ودخوله دون استئذان ، أثر في سيره الهوينى وتعثره في مشيته ، وفي الاستحياء الذي استولي عليه فخفف من قوته ،

ولو علم أن لنا في تلك النسمات الباردة المنعشة حاجة ماسة ، وشوقا وطرباء ولو علم أننا ننتظره كما ننتظر الازاهير قبلات الندي في الصباح ، وكما يتوق الزرع النضير الى القطر الهاطل ، لينشر عليه ملاءته اللينة المبللة ، لو علم ذلك ، لما تلكأ وزاغ زيغ من يحاول الهروب من محرج أو مأثم يظن نفسه وقع فيه . نعم ، لاتثريب عليك : فقد أصبحنا ونحن نتلقى منك تلك الهبات المتدافعة على مهل وبانتظام كأنها رسل الحياة ، ونماذج الامل ، وعناوين النشاط من الوداعة والسكون

...

قمت أتلقي هذا الهواء بصدر واسع ، مستفيضا بالحمد والمسرة ، وقلب تفتحت شرايينه وأوردته بقوة أمام ضغط الدورة الدموية ، وتحت تأثير الانتعاش المياد . ورئتين ، استطالتا ووثبتا لعملية الشهيق والزفير ، وهما يتشهيان هذا الهواء ، ويرتاحان اليه ، كما تتشهي معدة المسغب الصادى لذيذ الغذاء ، وقراح الماء .

فوقفت أمام النافذة ، والجو يهب في مناحيه ريح الشمال بهدوء ، ويثب وثباته على مهل ، فيحرك الاوراق وأغصان الاشجار. وكان الافق في تلك الاثناء مسفرا ، ضاحكا مستبشراً ، وقد تثاءب في المشرق عن وضح ملأ القضاء ، وشفق امتدت ألسنته فى جوانب السماء . هنالك نظرت فاذا الربوات العالية ، قد كسيت بلون أحمر عقيق ، وارتدت ثوبا من الجمال قرمزيا . حتي لكأنما خلعت عليها الطبيعة خلعة سنية ، أوجادت عليها السماء بحلة زاهية أرجوانية .

ثم رأيت خيوطاً من الضوء طويلة مسترسلة ، تنبثق من بين فجوات تلك المرتفعات ، وسهاما ليست إلا سهام السناء ، تنطلق بالنور تبثه فى سائر الجهات . وبساطا من اللون الاحمر قد انطبع أثره الجذاب فوق الجدران والحقول والهضبات .

...

هنالك ، وفي وسط هالة متسعة من الاحمرار ، الممتزج بالبياض ، طلعت الشمس فى دائرة من الضوء والبهاء. وأشرقت في مظهر من الحسن ، ليس كمثله جمال منظر وحسن رواء. بزغت النزالة وارتفعت فوق الآكام ، فاذا هى درة تاج قد علا جبين الطبيعة . واذا هى ينبوع من النور دفاق ، يرسل الى العالم أشعته الفياضة اللامعة . واذا هي قطعة من الجمال المجسم ، يتجلى لهذا العالم آية من آيات الله الرائعة. واذا هى رمز ينم عن تلك القوة الخالدة ، ويدل على تلك العظمة الكبيرة الالهية

...

وهنا يقف الإنسان بين عاملين يملكان عليه احساسه وعواطفه ، وهما السرور والاجلال

السرور ، ومبعثه تلك المرئيات التي تمثل البساطة الطبيعية ، البعيدة عن التكلف والتصنع ، والتي تتراءى فيها آيات الروعة والجلال ، والتي تقرأ فيها سطور الثناء الالهي ، وسور البداءة والجمال

والاجلال ، ومصدره تلك المحدثات والآثار ، التي تنشىء بها يد القدرة أجل الاعمال . وذلك التطور المستحيل ، في أبدع نظام ، وأتم كمال ، من حال الى حال

* * *

وقد يكون للمرء ميل غرزي ، وشغف طبعي ، الى اجتلاء مناظر الزروع في مثل هذا الوقت الهادىء السعيد .

لله ما ألطف أثر تلك المشاهدات بالنفس ، حيثما تلقى بالبصر ، الى أبعد من الابنية المحيطة بنا ، فتمتع الطرف والقلب ، بأجمل شكل تشتهي الحواس استكناهه ومطالعته ، وأي جمال مقرون بالطهر والصيانة والنزاهة فوق هذا الجمال

فالجو رطب لطيف المناخ ، والمزروعات البهيجة تزجى الى النفس بواعث الرفاهة والبهجة ، والخلاء مفروش بأبدع مانسجته يد الطبيعة ، من وشي مزخرف سندسي ، وزهر بهي الطلعة سني ، وعشب غض طري ، وغرس أخضر زبرجدي

والشمس في مشرقها بلونها الذهبي ، وقد علت الروابي ، كأنها تلقي

على العالم الكوني تعاليمها ، وكأنما هذا المتسع الذي يحيط به خط الافق الوهمي — وماهو قائم عليه من كل ذات تتردد فيها الحياة — صفوف مبعثرة في الفضاء ، بنظامها الخاص ، ماثلة منتظرة من الشمس أن تلقي عليها أوامرها

ولتلك الذوات الحية بالشمس علاقة،فلها فيها حاجة ، وقضاء لبانه ، ومنها تبغي وطرا ، وتستمد أملا وعمرا .

...

أليس في هذه الاشعة البيضاء الذهبية الساطعة،وتلك القبة الزرقاء الواسعة النطاق الشاسعة ، وتيجان الربى وأعشابها ، وقمم الاشجار وأزهارها ، ورءوس النخيل وأثمارها ، والنباتات اليانعة ونوارها ، — هناءة النفس ، وجلاء القلوب ، ومناعم الحياة ؟ . .

بلي . ان في ذلك كل ما تحدث به الافئدة من تنعم وطرب ، ولذة وسلوي وبهجة واستبشار ؟

« محمد المهدى ابوسنه »

تحريراً في ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ ـ ٩ نوفمبر سنة ١٩٢٤